﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ [هود: 58]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرَّبـط بين الاستبدال والاستخلاف، ورحمة الله بالنَّجاة من الهلاك

بعد التَّهديد والوعيد بيَّن تعالى أنَّهم لم يرجعوا، ولم يرعووا، فأنزل بهم العذاب[1]، فبعد أن "ذكر - عزَّ اسمُه - إصرارَ قوم هود على العناد والعتوِّ، وتكذيب هود فيما جاء به من الآيات؛ ذكر هنا عاقبة أمره وأمرهم، وأنَّه تعالى أصابه برحمة من لدنه، وأنزل بهم العذاب الغليظ، كفاء كفرهم بآياته وعصيان رسله"[2].

❁ شرح المفردات:

1) ﴿أَمۡرُنَا﴾: أصْلُ: (أمر): ضِدُّ النَّهي، ومنه قولُكَ: افْعَلْ كذا، يقال: لي عليكَ أمْرَةٌ مُطاعةٌ، أي: لي عليكَ أنْ آمُرَكَ مَرَّةً واحِدَةً، فَتُطيعَني، قالَ الكِسائيُّ: إنَّهُ لأمورٌ بالمعروفِ، ونَهِيٌّ عَنِ المُنكَرِ، منْ قَوْمٍ أُمُرٍ، والأمر: المجازاةُ والعِقابُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النَّحل: 1]، قالَ الزَّجّاج: أمْرُ اللّه ما وعَدَهم بِهِ من المُجازاةِ على كُفْرِهم من أصناف العذاب[3]، وأمرتُ فلانًا أمرَهُ، أي: أمرته بما ينبغي له من الخير، قال بشر بن سلوة[4]:

ولَقَدْ أمَرْتُ أخاكِ عَمْرًا أمْرَهُ *** فَعَصى وضَيَّعَهُ بِذاتِ العُجْرُم

والمقصود بالأمر في الآية: اسمٌ مُبهمٌ بمعْنَى الشَّيءِ والشَّأنِ، والمرادُ منه العَذاب[5].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/314.

(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/51.

(3) الزّجاج، معاني القرآن: 3/189، والزّبيديّ، تاج العروس: (أمر).

(4) البيت لبشر بن سلوة، ذكره ياقوت الحمويّ، معجم البلدان في (عجرم)، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: 1/33.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/103.

2) ﴿نَجَّيْنَا﴾: أصْلُ الإنجاءِ: الخلاصُ منَ الشَّيْءِ، نَجا يَنْجو نَجْوًا ونَجاءً، مَمْدودٌ، ونَجاةً، مقصور، وأنْجَيْتُ غَيْري، ونجَّيْته، واستَنْجى منْهُ حاجَتَهُ: تخَلَّصها، وانْتَجى مَتاعَه: تَخلَّصه وسَلبَه، ومعنى نجَوْت الشَّيءَ: خَلَّصته، وألْقَيْته، والنَّجاةُ: الخَلاصُ منْ ضُرٍّ واقِعٍ[1]، والنَّجْوةُ والنَّجاةُ: ما ارتفَع منَ الأرض، فَلَمْ يَعْلُه السَّيلُ فَظَنَنْتُهُ نَجاءَك، والجَمْعُ نِجاءٌ[2]. والمقصود بالإنْجاء في الآية: هو جَعْلُ هودٍ ﷺ ومن آمن به ناجين.

3) ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: أصلُ (رحم): يدلُّ على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأْفَةِ، يقال منْ ذلك: رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ؛ إذا رَقَّ له، وتَعطَّفَ عليه، والرَّحِمُ: عَلاقَةُ القرابة، ثُمَّ سُمّيَتْ رَحِمُ الأُنْثَى رَحِمًا من هذا؛ لأنَّ منها ما يَكونُ ما يُرْحَمُ، ويُرَقُّ له منْ ولَدٍ[3]. والرَّحْمَةُ: اسْمُ مَصْدَرٍ لِصِفَةِ الرّاحِم، وهيَ من صفات الإنسان، فهي رِقَّةٌ في النَّفْسِ تَبْعَثُ على سَوْقِ الخَيْرِ لِمَنْ تَتَعَدَّى إليهِ[4]. وإذا وُصِف بها الباري؛ فليس يراد بها إلّا الإحسان المجرَّد دون الرِّقَّة، وعلى هذا روي أنَّ الرَّحمة من اللّه إنعامٌ وإفضالٌ، ومن الآدميِّين رِقَّةٌ، وتَعطُّفٌ[5]. والمراد بالرَّحمة في الآية: فَضْلُ اللّه عليهم[6].

4) ﴿عَذَابٍ﴾: أصْلُ الكَلِمَةِ من العَذْبِ، وهو: المَنْعُ، يُقالُ: عذَّبْتُ عَنْهُ الماءَ، أيْ: مَنَعْتُهُ عَنْهُ، وسُمِّيَ العَذابُ عَذابًا؛ لأنَّه يَمْنَعُ الشَّخْصَ من الرُّجوعِ للجريمة[7]، والعَذابُ: الضَّرْبُ بِعَذَبَةِ السَّوْطِ، أي: طَرَفِها[8]، والعَذابُ أيضًا: الإيلامُ والإيجاعُ الشَّديدُ، وقد قيل: إنَّ أصْلَهُ الإعْذابُ، مَصْدَرُ أعْذَبَ؛ إذا أزالَ العُذوبَةَ؛ لأنَّ العَذابَ يُزيلُ حلاوةَ العَيْشِ، فَصيغَ منْهُ اسمُ مَصْدَرٍ بِحَذْفِ الهَمْزَةِ[9]، والعذاب: ما يصيب النَّفس من ألمٍ، ومنه عذاب النّار ونحوها، قال اللّه تعالى: ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ [فصّلت: 17][10]، والمُرادُ بالعذاب في الآية: الإيلامُ والإيجاعُ الشَّديد.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/130.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (نجو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/24.
(5) الرّاغب، المفردات: (رحم).
(6) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/102.
(7) النّووي، تهذيب الأسماء واللّغات: 4/10.
(8) الرّاغب، المفردات: (عذب).
(9) الخليل، العين: (عذب)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/258.
(10) نشوان الحميريُّ، شمس العلوم: (العذاب).

5) ﴿غَلِيظٍ﴾: غَلُظَ، يَغْلُظُ، غِلَظًا: إذا صارَ غَليظًا[1]، وأصلُ الغِلْظَةِ: الشِّدَّةُ والقَسْوةُ، وضدُّها: الرِّقَّة في الخُلُقِ والطَّبْعِ، والفعل والمَنْطِقِ والعَيْشِ ونحوِ ذلك، وعَذابٌ غَليظٌ، أي: شَديدُ الألَم، وغَلُظَ الرَّجُلُ: إذا اشْتَدَّ، فهو غَليظٌ، وفيهِ غِلْظَةٌ، أيْ: شِدَّةٌ واستِطالَةٌ، فهو غَيْرُ لَيِّنٍ ولا سَلِسٍ[2]. وبَيْنَهُما غِلْظَةٌ ومُغالَظَةٌ، أي: عَداوةٌ، والتَّغْليظُ: التَّكْبيرُ والتَّعْظيمُ، يُقال: غَلُظَ الشَّيْءُ، أيْ: عَظُمَ وكَبُرَ، ويأتي بمعنى التَّشديدِ والتَّوكيدِ، ومنه: عَهْدٌ غليظٌ، أي: مُؤَكَّدٌ مُشَدَّدٌ[3]. والمقصودُ بالغِلْظَةِ في الآية: العذابُ الخَشِنُ ضِدُّ الرَّقيقِ، وهو مُستعارٌ للشَّديدِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

رحمة الله إكرام لهود والمؤمنين، ونجاة من العذاب المهين

بَيَّنَ الحقُّ تعالى نُزولَ العِقاب بالكافرين، ونَجاة المؤمنين برحمةٍ كريمةٍ منه، وحسبُها شرفًا أنَّها من ربِّ العالمين، ولما جاء أمرنا بإهلاك عادٍ، نجّينا هودًا، والَّذين آمنوا معه، من عذاب الرّيح العاتية الَّتي أهلكتهم، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان[4]، و قد كانت النَّجاة عظيمة؛ لأنَّها نجاة من عذابٍ شديدٍ، لا رِفق فيه؛ لأنَّه لا رفق مع ظالم؛ لأنَّ الرِّفق بالظّالم جورٌ على المظلوم[5].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى إنعام الله بنجاة هودٍ عليه السلام والمؤمنين معه بنجاتين: نجاةٍ في الدنيا من عذاب الريحِ العقيم التي لا تأتي بخير، شديدة البَرْد التي تجفِّفُ ما هو غضٌّ طريٌّ، والتي دمَّرت كلَّ شيءٍ بأمر ربِّها، ونجاةٍ من عذاب النار يوم القيامة، وهي أعظم؛ وترشدُ إلى سُنَّة الله في الأوَّلين، وهي أنَّه يبعث الرسل مبشِّرين ومنذرين،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (غلظ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (غلظ).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (غلظ).
(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 317.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3720.

فَإنِ استجابَ المرسَلُ إليهم؛ سَعِدوا، وإن لم يستجيبوا؛ يُمْهلهم حتى تقوم الحُجَّة عليهم، ثم يهلكهم، وينجّي المؤمنين[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة (الواو) على الاستئناف في ﴿وَلَمَّا﴾:

بعد الجدال المقيت، والصِّراع المميت، نجّى الله هودًا والمؤمنين

قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، افتتح النَّظم الكريم في هذه الآية الجملة بالواو الاستئنافيَّة[2]، فبعد ذكر التَّهديد باستخلاف غيرهم، استأنف لبيان أنَّ هودًا عليه السلام، قد نجا من كيدهم، وأنَّهم لم ينفُذوا إليه بسبب العذاب الذي حاق بهم.

سرُّ التَّعبير في ﴿وَلَمَّا﴾ بالواو:

سَبْقُ ذكر الوعيد، يناسبه ذكر الفاء الدّالَّة على السَّبب

ابتدأ قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾ بالواو، وكذلك في قصَّة شعيب عليه السلام: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ [هود: 94]، أمّا في قصة صالح ولوط عليهما السلام، فافتتح بالفاء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ [هود: 66]، و﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢﴾ [هود: 82]؛ وذلك لأنَّ الأمر في قصَّة صالح ولوط، وقع بعد الوعيد، فجيء بالفاء الَّتي تقتضي التَّسبيب، كما تقول: وعدتُه فلمّا جاء الميعاد، بخلاف قصَّة هود وشعيب عليهما السلام فإنَّه لم يتقدَّم ذلك فيهما، فعطف بالواو[3].

فائدة الشَّرط المفتتح بـ الأداة (لمّا):

نجاة الصّالحين، معجزة تتيح لهم التَّمكين

قوله جل شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، علَّق النَّظم الكريم نجاة هود عليه السلام ومن معه، بزمان مجيء الأمر بنزول العذاب في هذه الآية البليغة، وذلك باستعمال

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/366، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/381، والجزائري، أيسر التفاسير: 2/555.

(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 6/297.

(3) ابن جزي، التّسهيل لعلوم التنزيل: 1/373.

الظَّرف ﴿وَلَمَّا﴾، وهو ظرف بمعنى حين متضمِّنٌ معنى الشَّرط[1]، وذلك يدلُّ على أنَّ هودًا ﷺ والذين معه، قد لبثوا في قومهم، وأنَّ العذاب لمّا نزل بساحة القوم، كانوا في ديارهم مع قومهم، فتكون النَّجاة معجزة؛ ولذا أتمَّ الكلام بقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾.

بلاغة التَّشبيه التَّمثيليّ في الآية:

تصوير العذاب وتشخيصه من فصيح الإبانة عن المشهد

عبَّر النَّظم البليغ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ عن نزول العذاب بالمجيء تفخيمًا له وتهويلًا[2]، والمعنى: "وحين جاء أمرنا بتحقيق وعيدنا في قوم هود، وبتنفيذ ما أردناه من إهلاكهم وتدميرهم نَجَّيْنا هودًا والَّذينَ آمَنوا مَعَهُ"[3] حيث جعله ذاتًا يأتي بنفسه، وكأنَّه مشخِّص له قدرة الحضور بنفسه، مستقلٌّ بحركته، قد جاء ليفتك بهؤلاء القوم الذين طغوا، وعتوا، فهي صورة مكتملة من التشبيه التمثيليِّ.

لطيفةُ الكناية في الآية الكريمة:

يتجلّى مجيء أمر الله في نزول العذاب الَّذي لا مناص منه

جاء التَّعبير في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ كناية عن العذاب، أو عن القضاء بهلاكهم[4]. فقوله: ﴿أَمْرُنَا﴾ يدلُّ على وجود الآمر والأمر والمنفِّذ، وهم ملائكةُ العذاب، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: 6]، وهذا الوصفُ لهم في الدُّنيا والآخرة، ومجيء الأمر بهلاك قوم هود، من أوامر الدُّنيا، فعبَّر عن نزول العذاب بالأمر، للدَّلالة على أنَّه أمر مقضيٌّ به، قد قصده الله تعالى قصدًا، وليس هو مجرَّد عوارض طبيعيَّة، كما ظنّوا أوَّل الأمر، فجاءَ الأمر العلويُّ بإهلاكهم، وصبِّ العذاب عليهم صبًّا، حين حلَّ أوانه المقدَّر، في أزل

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 6/297.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/219.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 7/228.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/170.

اللّه العليم بكلِّ شيء، والمدبِّر بحكمته لكلِّ شيء؛ وقد أنجى المؤمنين من عذاب الدُّنيا الذي أوقعه بقومهم، كرمًا منه تعالى وفضلًا، وتلك عقوبة الدُّنيا المقدَّمة، ولعذاب الآخرة أشدُّ وأدوم[1].

دلالة نون التَّعظيم في ﴿أَمۡرُنَا﴾ و﴿نَجَّيۡنَا﴾:

الأمر الَّذي نزل بقوم هودٍ، كان بالغَ العظمةِ

قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾، أسند النَّظمُ الجليل الأمر والمجيء إلى نون التَّعظيم؛ للدَّلالة على أنَّ الأمر الَّذي نزل، كان بالغ العظمة، وأنَّ التَّنجية منه بالغة العِظَم، أي: "تنجيةً عظيمة بما لنا من العظمة"[2]، وذلك تهويل لشأنه وردع لسامعي تلك القصص، وقد بيَّن سبحانه أنَّ النَّجاة كانت عظيمة؛ لأنَّها نجاة من عذاب شديد، كما بيَّن سبحانه أنَّ العذاب غليظ، أي: شديد لا رفق فيه؛ لتجلية عظمة اللّه في تدبير الأمور جليلها ودقيقها[3].

علَّة وضع الاسم الظَّاهر في ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا﴾:

التَّصريح بالاسم في معرض النَّجاة، أبلغ في التَّكريم

عبَّر النَّظم الكريم بالاسم الظَّاهر لنبيِّ اللّه هود عليه السلام من قوله جلَّ شأنه: ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، فوضع الاسم الظَّاهر موضع الضَّمير؛ إذ لم يقل: (ونجيناه والَّذين آمنوا منه)، بل جاء بالاسم الظَّاهر له؛ لأنَّه أكثر بلاغة في سياق التَّنجية لما فيه من المدح بإظهار الاسم في موطن التَّشريف، فنصَّ على أنَّ النَّجاة كانت تكريمًا له بالأصالة ولمن معه بالتَّبع.

دلالة الموصول ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ وصلته:

الإيمان سبيل العباد، للنَّجاة في الدُّنيا، ويوم يقوم الأشهاد

آثر النَّظم الكريم في قوله جل شأنه: ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ الإتيانَ بالاسم الموصول: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، الدالِّ على العموم والشمول، فالموصولُ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يشمل كلَّ من آمن برسالة هود عليه السلام من قومه، فاللّه تعالى نجّاهم من العذابِ الشديد الذي حلَّ

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 3/131. (بتصرّف).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/314.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3720.

بقومهم؛ لما في صلة الموصول، وهي: ﴿ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ من دلالة على تحقُّق إيمان النّاجين مع هود، وأنَّ سبب النَّجاة إنَّما هو الإيمان، فنجَّى الله تعالى هودًا وجميعَ المؤمنين معه من عذاب الله.

غرضُ المعيَّة مع هود في ﴿ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾:

معيَّة الصّالحين نـــجـــاة، ومصاحبتهم حـــصـــانـــة في الحياة

قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، فيه إفادة أنَّ نجاة الذين آمنوا كانت مواكبة لنجاة هود، بعطف هذه على تلك، أي: هم معه في الإيمان والنَّجاة من قومهم ومن العذاب[1]، وذلك يفيد أنَّ معيَّة الصّالحين نجاة، كما دلَّت على أنَّ إيمانهم كان معلَنًا، وأنَّهم صحبوه، ولقوا معه ما لقي في سبيل الدَّعوة.

معنى الباء في عبارة ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾:

لا سبب يؤهِّل المؤمنين للنَّجاة، سوى ما يرد من الله من رحمات

قوله جلَّ شأنه: ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، أدخل فيه النَّظم البليغ الباء الدّالَّة على السَّببيَّة على الرَّحمة الواردة في سياق النَّجاة؛ للدَّلالة على أنَّ سبب النَّجاة هو الرَّحمة، فكانت رحمة الله تعالى بهم سببًا في نجاتهم[2]، ورحمة الله عليهم، فضله الغامر، ولولاه لطالهم العذاب، فاقتُلعوا من جذورهم، واستؤصلت شأفتهم، ولم تبقَ لهم باقية، كما وقع للكفرة، "فيما نزل بهم من ذلك العذاب الغليظ، وهو الرّيح العقيم التي لا تذر من شيء أتت عليه، إلّا جعلته كالرَّميم، كما فصَّل ذلك في سورة القمر بقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠﴾ [القمر: 19 - 20][3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/314.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/104.
(3) المراغي، تفسير المراغيّ: 12/51.

دلالةُ تعليق النَّجاة بالرَّحمة في الآية:

النَّجاة محض إنعام ورحمة من الله تعالى لعباده المخلصين

قيَّد النَّظم الجليلُ النَّجاةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بكونها كائنةً برحمة الله تعالى، للدَّلالة على أنَّه لا نجاة في الدُّنيا ولا في الآخرة إلّا برحمة الله، ولا نجاة بالأعمال، ولو للرَّسول المفضال، إلّا أن يتغمَّده الله برحمته، "والظاهر تعلُّق ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ بقوله: ﴿نَجَّيْنَا﴾، أي: نجيناهم بمجرَّد رحمة من الله لحقتهم، لا بأعمالهم الصالحة، أو كنَّى بالرحمة عن أعمالهم الصالحة؛ إذ توفيقُهم لها إنَّما هو بسبب رحمته تعالى إيّاهم"[1]، فلمّا "كان سبحانه بحيث لا يجب عليه لأحدٍ شيءٌ؛ لأنَّه لا يَقْدِر أحدٌ أنْ يَقْدِرَه حقَّ قدره، وإن اجتهد في طاعته، فإنَّ طاعته نعمةٌ منه عليه، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾"[2].

فائدة التَّعبير بشبه الجملة: ﴿مِّنَّا﴾:

كون الرَّحمة من الله تعالى تعظيمٌ لها، وتفخيم لشأنها

في قوله جل شأنه: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ قيَّد النَّظم الكريم نجاتَهم بأنَّها كائنة برحمة من الله تعالى، وليس برحمة مطلقة، تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لها، أي: "نجَّيناهم بمجرَّد رحمة وفضل، لا بأعمالهم؛ لأنَّه لا ينجو أحدٌ وإن اجتهدَ في الأعمالِ والعملِ الصّالح، إلّا برحمة الله تعالى"[3]، وفائدة ذلك التَّنبيه على أنَّ النَّجاة، إنَّما كانت برحمة من الله تعالى، وأنَّ هذه الرَّحمة عظيمة، لكونها صادرة منه تعالى دون سواه، كما أنَّ التَّعبير بنون التَّعظيم، يخلع عليها مزيدًا من التَّعظيم والتَّفخيم لشأن هذه الرَّحمة، فيبيِّن سبحانه "نزول العقاب بالكافرين، ونجاة المؤمنين برحمة كريمة منه، وحسبها شرفًا أنَّها من ربِّ العالمين، وبيَّن سبحانه أنَّ النَّجاة كانت عظيمةً؛ لأنَّها نجاة من عذاب شديد"[4].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/170.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/314.
(3) إسماعيل، حقّي، روح البيان: 4/150.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3720.

بلاغةُ الإطناب في تكرار الإنجاء في الآية:

عِـظَـمُ العـذاب أو تنوُّعه مسوِّغٌ لـتـكـراره، لفتًا لشدَّته وإبهاره

كرَّر النَّظم الجليل لفظ التَّنجية في قوله جل شأنه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾، للإطناب للدَّلالة على أنَّ العذاب كان شديدًا، عظيم الأهوال، "ولَمّا بيَّن إنجاءهم من قومهم؛ بيَّن إنجاءهم ممّا أهلكهم به، فقال مكرِّرًا ذكرَ التَّنجية، دلالة على أنَّ عذابهم كان في غاية الفظاعة"[1]. ويحتمل أن يريدَ بالتنجية الثانية عذابَ الآخرة، وأنَّ النجاة الأولى المتقدِّمةَ المظهرَ فيها اسمُ نبيِّ الله هودٍ ﷺ هي الريحُ التي لا بركةَ فيها، ولا تأتي بخير، التي ما تَدَعُ شيئًا مرَّت عليه إلا صيَّرته كالشيء البالي، والتي كانت تحملُهم، وتهدمُ مساكنَهم، وتنسفُها، فيكون المقصودُ على هذا التنوُّعِ في العذاب تعديدَ النِّعمة في الإنجاء مرَّتين[2].

دلالة وصف العذاب بـ ﴿غَلِيظٖ﴾:

وصـــف الأمـــر بالغلظة يشعر بـالـثِّـقـل في النَّفس، ويصوِّر فظاعته

وصف النَّظم الجليل العذاب في قوله جل شأنه: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ بكونه غليظًا؛ وذلك لبيان فظاعة ما أُهلك به من لم يؤمن بنبيِّ الله هودٍ، وهو إرسالُ الله عليهم ريحًا شديدةَ البرودة عاليةَ الصوتِ في أيام مشؤومات عليهم؛ ليذيقهم عذاب الذلِّ والهوان في الحياة الدُّنيا، كما حكى الله عنهم: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [فصلت: 16]، وحُكيَ أنَّ الرّيح كانت تدخلُ في مناخرهم وأفواههم، وتخرج من أدبارهم فتقطِّعهم تقطيعًا، أي: قِطْعَة قِطْعَة[3]، وذلك يدلُّ على هول هذا الهلاك النازل بهم وسوء المصير.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/314.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/366، وابن الجوزي، زاد المسير: 2/381، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/182.

(3) السمعاني، تفسير السمعاني: 2/437.

بلاغة الاستعارة في: ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

تصوير العذاب المعنويّ بشيء حسّيٍّ، تهويل لشأنه وتنبيه على أهمّيّته

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وصَفَ العذاب بالغلظة، وحقيقة الغِلظة أنَّها وصف مادّي، يدلُّ على عظم الجثَّة، فاستعير للعذاب، لما فيه من ثقلٍ على النَّفس وطول مكث[1].

إيثار التَّعبير بالتَّنكير في ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:

تنكير العذاب الموصوف، تهويل لشأنه وفظاعته

آثر النَّظم الكريمُ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، التَّعبير بالتَّنكير دون التَّعريف، فلم يقل: (ونجَّيناهم من العذاب الغليظ)؛ تهويلًا لشأنه وتعظيمًا له، لما في التَّنكير من دلالة على التَّكثير والتَّفخيم، ومفاد النَّجاة من ذلك العذاب الغليظ، تجلية قدرة الله الأجلِّ؛ "لأنَّ الله نجّى (هودًا) ومن معه، من هذا البلاء في الدُّنيا، ومن العذاب في الآخرة، وذلك بما ساق إليهم من رحمته، فهداهم إلى الإيمان، وصرفهم عن الكفر، وعزلهم عن القوم الكافرين، في الدُّنيا، والآخرة، على حين هلك الظالمون مَهْلَكَيْن.. مهلكًا في الدُّنيا، ومهلكًا في الآخرة"[2].

التَّشابه اللَّفظيُّ بين آيتي هود والأعراف:

كُرِّرت التَّنجية في هودٍ فجاءت بالتَّفعيل وأُفردت في الأعراف فجاءت بالهمزة

التَّشابه اللَّفظي بين قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف: 72]، جاء لفظ التَّنجية بصيغة التَّفعيل في سورة هود، فتعدَّى بالتَّضعيف، أمّا في سورة الأعراف؛ فجاء متعدّيًا بالهمزة، وذلك لأنَّه ذكر التَّنجية في سورة هود مرَّتين فكرَّرها، دلَّ ذلك على التَّكثير، فكان التَّعبير عنها بصيغة التَّفعيل أبلغَ وأدلَّ، وفي سورة الأعراف ذُكِرَتِ التَّنْجِيةُ مرَّةً واحدةً، فجاءت متعدِّية بالهمزة دون التَّضعيف.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/315.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/315.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(غليظ) و(شديد):

الغليظ من الغِلظَةِ ضدِّ الرِّقَّة، وأصله أن يُستعملَ في الأجسام، لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير، قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التّوبة: 123]، أي: خشونة[1]. وأمر غَليظٌ: شَديد صَعْب[2]، ورجلٌ فيه غِلظة، أي: فيه فظاظةٌ، وأغْلَظَ له في القول[3]. أمّا الشَّديد؛ فمن (شَدَّ)، وأصْله يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ في الشَّيْءِ[4]، والشَّدُّ: العَقْد القويُّ، يقال: شَدَدْتُ الشَّيء: قوَّيت عقدَه[5]، الشِّدَّةُ: الصَّلابةُ، وهيَ نَقيضُ اللّين تَكونُ في الجَواهِرِ والأعراض، وشَدَّدَه: قَوّاه، والتَّشْديدُ: خِلافُ التَّخْفيف[6]، فالشَّديدُ نقيضُ اللّين والخفيف، والغليظُ نقيضُ الرَّقيق، ووصف العذاب بأنَّه غليظ في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ لأنَّ لفظ الغليظ، يعني: الخشن والصَّعب، وللمفسِّرين في تفسيرها قولان: الأوَّل أنَّه الموصوف بأنَّه الدّائم غير المنقطع، والثّاني أنَّه الموصوف بأنَّ المعذَّب به، يتلقّى عذابًا أشدَّ ممّا قبلَه، فيتجدَّد له الألم باطِّراد، قال الزُّحيليُّ: "﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، قويٌّ متّصل، وشديد غير منقطع"[7]، قال ابن كثير: "﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: 17]، أي: وله من بعد هذه الحال عذاب آخر غليظ، أي: مؤلم صعبٌ شديد، أغلظ من الذي قبله وأدهى وأمرُّ"[8]، وقيل: ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾، أي: قويٌّ شديدٌ لا يعلم وصفه وشدَّته إلّا الله

الغليظ: الخشن خلاف الرَّقيق، والشَّديد: القويُّ الصُّلب خلاف اللّين

(1) الرّاغب، المفردات: (غلظ).
(2) ابن منظور، اللّسان: (غلظ).
(3) الجوهري، الصحاح: (غلظ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شدّ).
(5) الرّاغب، المفردات: (شدّ).
(6) ابن منظور، اللّسان: (شدد).
(7) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 13/225.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/417.

تعالى[1]، والفرق بين الغليظ والشَّديد: أنَّ الشَّديد يراد به القويُّ والصُّلب، وأنَّ الغليظ يراد به الخشن[2]، والمقصودُ بالغِلْظَةِ في الآية: بيان أنَّ العذاب خشنٌ لا رقَّة فيه، وهو وصف آخر، يكشف قسوة العذاب وعظمته إضافة لوصفه بالشَّديد في مواضع أخرى.

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، ص: 423.

(2) نعيم محمّد عبد الغني، مقال: العذاب الغليظ، جريدة الشّرق، الدّوحة، قطر، 24 يونيو 2016م.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»